الفصل الثالث
في معجمية الاستنباط
(عمل القلب أو العقيدة، وعمل الجوارح أو الفقه)

أولا
العناية بمصطلحات(عمل القلب) أو العقيدة الإسلامية في المعجمية العربية قديما وحديثا

(مدخل)

لا يجادل أحد في أن الإسلام منذ بداياته اعتنى عناية فائقة بتصحيح النظرة إلى الله سبحانه ولا سيما في البعد المتعلق بتوحيد الألوهية؛ أي في بعد كونه مستحقا وحده سبحانه بالعبادة والاستعانة، وأصبح تقييم الإسلام أولا وقبل أي شيء محكوما بالتغيير الجبار في هذا الميدان، بعد انحرافات غير مرضية طالت النظر إلى الخالق سبحانه.

وقد مر التعبير عن هذه الحقائق بمراحل مختلفة، سميت قديما باسم الإيمان بمعنى أن المؤلفات القديمة التي حملت عنوان (كتاب الإيمان) كانت كتبا تناقش مسائل ما سمى بعد باسم علم الاعتقاد أو علم العقيدة، ومن أشهرها وأقدمها كتاب الإيمان لابن منده.

ثم عبر عن هذا العلم في وقت لاحق باسم علم الوحدانية أو علم التوحيد، وربما شاع التعبير عن مسائل علم العقيدة باسم الوحدانية؛ لأنها أهم مقاصد الرسل جميعا، ولأنها وحدها كانت هي العقيدة المهجورة المكفور بها من أكثر الناس، على ما يقرره الدكتور محمد بن عبد الله دراز، رحمه الله، في كتابه الماتع (المختار من كنوز السنة النبوية، شرح أربعين حديثا في أصول الدين) [طبعة دار العلم، الكويت والقاهرة، سنة ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م، ص ١٠٩].

ثم عبر عنه وعن مسائله باسم علم أصول الدين ثم باسم علم الكلام؛ وفي هذا الطور برزت قضية العناية بإثبات العقائد الدينية على الغير عن طريق الحجج ودفع الشبهات، وهو الذي استقر عليه العمل في مناطق مختلفة من خريطة العلم الشرعى قديما وحديثا، على ما يظهر من مراجعة مقدمات مصنفات تصنيف العلوم عند المسلمين ومعاجم مصطلحاتها من مثل كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (ت ق ١٢ هـ) [طبعة مكتبة لبنان سنة ١٩٩٦م، (٢٩/١)].

ثم شاع واشتهر دراسة مسائل التوحيد في تفرعاتها المختلفة تحت اسم جامع هو اسم علم العقيدة، وربما كان سبب شهرة هذا العنوان راجعا إلى استعمال أبى جعفر الطحاوى ت ٣٢١هـ لهذه اللفظة في عنوان كتابه الأشهر في هذا المجال.

ونحن نفسر إخلال المعاجم العربية اللغوية القديمة بإيرادها لأسباب عديدة منها :

أ- شهرة اللفظة، وشهرة معناها على ما نراه من استعمال الطحاوى وشراحه وقد كانت المعاجم القديمة مشغولة بالغريب غير المألوف.

ب- أنها جاءت على وزن قياسى والمعاجم القديمة في العربية لم تكن تنشغل بالصيغ القياسية فرارا من التضخم.

وأصبحت هذه المفردة علما على دراسة الإلهيات والنبوات والسمعيات.

(١) العناية بمصطلحات العقيدة في المعجمية العربية القديمة.

تتبع الدكتور عبد الصبور شاهين مسيرة الكلمة في المعاجم العربية القديمة في مقال قديم له بعنوان (حول كلمة العقيدة) كان نشره بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٣٨٧هـ= ١٩٦٧م [ع ٢٢، ص(٦٨-٧٤)]، وعلى الرغم من مخالفتنا ما توصل إليه من عدم قدم استعمال الكلمة في باب المصطلح العلمى، على ما مثلنا به من أمر عنوان كتاب أبى جعفر الطحاوى ت ٣٢١هـ الظاهر على مخطوطات الكتاب التي اعتمدت وصورت في أكثر من طبعة.

المهم أنه توصل إلى بعض ممن عنى بإيراد الكلمة من المعجميين القدامى من مثل الفيومى المصرى (ت ٧٧٠هـ) صاحب المصباح المنير، والجرجاني (ت ٨١٦هـ) صاحب التعريفات.

وقد أعاد الدكتور عبد الصبور شاهين نشر هذا المقال في كتابه (عربية القرآن) مرتين فيما بعد من دون إضافة تذكر، الأولى في مكتبة الشباب بالقاهرة سنة ١٩٩٩م، والثانية بمكتبة النافذة بالقاهرة سنة ٢٠٠٧م.

والحق قاض بأن ثمة عناية جيدة بمصطلحات هذا العلم تجلت قديما من خلال مسارات ثلاثة هي :

١- في كتب العقيدة القديمة؛ أيا ما كان عنوانها، وقد أخذت هذه العناية شكلين هما:

أ- في فصول قصيرة في مقدمات هذه الكتب، وهو أمر نادر قليل.

ب- في مقدمات أبواب هذه الكتب، وهو الشائع الفاشى، على ما نجد في مقدمات أبواب كتاب أبى جعفر الطحاوي (ت ٣٢١هـ)، وأصول الدين لابن طاهر التميمى البغدادي (ت ٤٢٩هـ)، وتبصرة الأدلة في أصول الدين للماتريدى (ت٥٠٨هـ)، والإيضاح في أصول الدين للزغواني (ت ٥٢٧هـ)، وأبكار الأفكار في أصول الدين للآمدي (ت ٦٣١هـ).

٢- في المعاجم اللغوية المتأخرة من أمثال : لسان العرب لابن المنظور، والقاموس المحيط للفيروزآبادى، وتاج العروس، للمرتضى الزبيدي، باعتبار أن فيها جانبا موسوعيا كثيرا ما عنى ببيان بعض معانى المصطلحات، ومنها مصطلحات علم العقيدة، ومن أمثلة ذلك قول اللسان (وحد) [٤٥٠/٣، طبعة صادر بيروت ١٩٩٠م]: "التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له"، ولا شك أن هذا التعريف اصطلاحيي خاص بعلم العقيدة.

ويقول في (وحد) [٤٥١/٣]: "الواحد : من صفات الله تعالى، معناه لا ثانى له ". وهو لا شك معنى حادث بعد مجئ الإسلام على الذي شاع واشتهر من أمر شركية الحياة العربية.

٣- في معاجم المصطلحات العربية، وهي المعاجم التي انشغلت بجمع المصطلحات التي ظهرت بعد نهضة المجتمع الإسلامى بأثر من آثار الإسلام العظيم وقد تجلت عناية هذا الفرع بمصطلحات علم العقيدة في اتجاهين هما :

أ- معاجم خاصة بمصطلحات علم العقيدة باعتباره من مشاغل علم الكلام أو أصول الدين على ما مر بنا في المدخل، ومن أشهر هذه المعاجم:

• الحدود في الأصول، لابن فورك الإصبهاني ت ٤٠٦هـ [تحقيق محمد السليمانى دار الغرب بيروت ١٩٩٩]، ومن أمثلة المصطلحات التي عرفها وعلق عليها (التوحيد ص ١٠٧، ورحمته سبحانه ١٠٠، والكرامة ص ١٣٠، والكفر ١٠٩، والكسب ٨٥، والمعجزة ١٣٠،... إلخ)

وهي ولا شك مصطلحات تنتمي إلى علم العقيدة، موزعة على أبوابه الكبرى: الإلهيات والنبوات والسمعيات.

• الحدود والحقائق، للشريف المرتضى ت ٤٣٦هـ [بعناية السيد أحمد الحسيني والسيد مهدي رجائي، طبعة قم إيران، سنة ١٤٠٥هـ، ضمن رسائله ٢/٢٥٩-٢٨٩].

ومن أمثلة المصطلحات الاعتقادية المشروحة ما يلي : (الإبداع ٢٦١/ الإله ٢٦٣ / والباقى ٢٦٤ / والتحدى ٢٦٦/ والجزاء ٢٦٧ / والحى ٢٦٨ / والدين ٢٧٠ / والعصمة ٢٧٧/ والقديم ٢٧٩/ والملة ٢٨١/ والمغفرة ٢٨٣ / والواحد ٢٨٨ إلخ).

ويمكن أن تعد – بل هي كذلك – معاجم أسماء الله الحسنى معاجم مصطلحات عقيدة جزئية في موضوعها؛ لأنها تعرض بالبيان لمعانى مصطلحات هي من أكثر مسائل علم العقيدة، مما يدخل في باب الأسماء والصفات،وهذه المؤلفات كثيرة جدا منها ما يلي :

• تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج ٣١١ هـ(أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية ١٩٧٥م)

• التحبير في التذكير، للقشيرى سنة ٤٦٥هـ (د. إبراهيم بسيونى، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٨م)

• المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبى حامد الغزالى (محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، بالقاهرة سنة ١٩٨٥م).

• شرح أسماء الله الحسنى، للرازى سنة ٦٠٦هـ (مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة سنة ١٣٦٩هـ =١٩٧٦م).

• الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، للأنصارى القرطبى المفسر ت ٦٧١هـ (تحقيق د/ صالح عطية الحطمانى، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازى سنة ٢٠٠١م)

• دقائق الإشارات إلى معانى الأسماء والصفات، لابن القاضى الشافعى ٧٢٤هـ (تحقيق الشيخ عماد الدين حيدر، دار الجنان بيروت ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م).

• شرح أسماء الله الحسنى، لزورق ت ٨٩٩هـ (بعناية محمد ركابى، دار جرش ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م)

• المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى، للكفعمى (تحقيق فارس الحسون قم سنة ١٤١٢هـ).

ولنمثل بمثال واحد من أقدمها يثبت معالجة هذه الأسماء من باب علم العقيدة، لا من باب اللغة، يقول الزجاج في تفسير أسماء الله الحسنى ص ٦٠ فقرة ٧٦ : "الظاهر : هو الذي ظهر للعقول بحججه، وبراهين وجوده وأدلة وحدانيته؛ هذا عن أخذته من الظهور، وإن أخذته من قول العرب : ظهر فلان فوق السطح : إن علا... فهو من العلو، والله تعالى عال على كل شيء، وليس المراد بالعلو ارتفاع المحل؛ لأن الله تعالى يجل عن المحل والمكان ". وفي النص علامات واضحة جدا تجعله معجما في المصطلح الاعتقادى؛ خاصا بالعناية بواحد من أمس المسائل رحما بهذا العلم وهو التعريف بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

ب- في معاجم المصطلحات العامة (وهي المعاجم التي اعتنت بجمع مصطلحات العلوم المختلفة وتفسيرها وبيان معانيها) من مثل :

• مفاتيح العلوم، للخوارزمى (الذي صنع بابا كاملا لمصطلحات الكلام من ص ٢٢- ٤١ من طبعة فلوتن، القاهرة ٢٠٠٤م)

• مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المنسوب خطأ للسيوطى الذي صنع بابا كاملا لمصطلحات الاعتقاد ص ٧٣-٧٥ من طبعة د/ محمد إبراهيم عبادة القاهرة ٢٠٠٤م)

ومن المصطلحات التي عرف بها وشرحها ما يلي :(الإيمان / والاعتقاد / والتوحيد / والقضاء / والقدر إلخ).

كما تناثرت العناية بمصطلحات العقيدة في معاجم المصطلحات العامة التي اتبعت المناهج الهجائية الألفبائية؛ كالتعريفات للجرجانى ٨١٦هـ والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوى ١٠٣١هـ والكليات للكفوى ت١٠٩٤هـ وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ق ١٢هـ ودستور العلماء للأحمد نكرى ت ق ١٢هـ.

ومن هذا السرد يتضح لنا حجم العناية التراثية بمصطلحية علم العقيدة الإسلامية لدرجة تبدو كبيرة جدا، لم تجد إلى الآن من يجلى أمرها، فيبين نشأتها المبكرة التي ظهرت بسبب من خدمة هذا العلم وضبط مفاهيمه ولا سيما بعد تفشى المقولات الاعتقادية الفاسدة في أوساط الفرق المختلفة، مما أصبح معه أمر العناية بضبط مصطلح هذا العلم وتحريره مطلبا ملحا وضروريا. هذه العناية القديمة في تفريعاتها المتنوعة والكثيرة، لم تجد من يستثمرها في العصر الحديث !

(٢) العناية بمصطلحات العقيدة حديثا.

إن المتابع للمعجمية العربية المعاصرة ولا سيما في قسمها المختص أو الاصطلاحى يلمح عناية بجمع مصطلحات علم العقيدة وتفسيرها، سارت في المسارات التالية (وسوف نركز في هذه الورقة على المسار الأخير؛ لأهميته):

١- خدمة المصطلحات العقيدية في المعاجم اللغوية في المعاجم اللغوية العامة، كالمعجم الوسيط والكبير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمعجم العربي الأساسى، للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الذي يعرف العقيدة فيقول (عقد ٨٥٤) : " عقيدة (ج) عقائد : ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله.../ وحكم لا

يقبل الشك لدى صاحبه ". وانظر تعريف التوحيد (و ح د) ١٢٩٥ حيث يقول " توحيد : مصدر وحد وهو الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له ".

و في هذا السياق يصح أن نحذر من مجموعة المعاجم العربية المعاصرة التي ألفها غير المسلمين؛ حيث لم يكونوا مأمونين في التعامل مع ألفاظ العقيدة الإسلامية، من مثل : قاموس المنجد، للأب لويس معلوف النصرانى الذي ينطلق من رؤى نصرانية في معالجته لمصطلحات العقيدة الإسلامية، وهو ما يحذر منه الدكتور إبراهيم عوض في كتابه : (النزعة النصرانية في قاموس المنجد، طبعة دار الفاروق، الطائف ١٤١١هـ= ١٩٩١ م ص ٢٣ وما بعدها).

٢- خدمة المصطلحات العقيدية بمعاجم خاصة.

وفي هذا السياق يلفتنا معجمان مهمان في هذا السياق خصصهما صاحبيهما لتعريف مصطلحات علم العقيدة عند المسلمين، كما يلي :

أولا – معجم ألفاظ العقيدة، تصنيف أبى عبد الله عامر عبد الله فالح، وتقديم عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، مكتبة العبيكان، بالرياض ١٤١٧هـ، وسنعتمد في عرضه على طبعته الثانية الصادرة في سنة ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م. (في ٥٠٥ص).

ثانيا :- المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، تحرير سعد الفيشاوي وتعريبه، الهيئة العامة المصرية للكتاب، بالقاهرة سنة ٢٠٠٧م (في ٨١٥ص).

(أولا) – معجم ألفاظ العقيدة.

حدد معجم ألفاظ العقيدة هدفه من تصنيف معجمه في مجموعة من الغايات هي:

أ- غاية تعليمية تتوخى طلاب العلم الشرعي، وعامة المسلمين.

ب- غاية علمية تتذرع إلى خدمة هذا العلم الشريف.

ج- غاية عملية ليسد ثغرة، زعم أنها قائمة بسبب مما سماه عدم عناية أحد في القديم والحاضر بتصنيف معجم لهذا العلم، وهو ما رددنا عليه سلفا.

وهي ولا شك غايات نبيلة كفيلة بالنهوض لمثله.

ثم تحدث عن منهجه في ترتيب مداخله / أو مصطلحاته التي جمعها وفسرها، وهو المنهج الألفبائى المشرقى (أ ب ت ث ج ح) من غير تجريد للكلمات، أو من غير ردها إلى جذورها، وهو ما نسميه المنهج النهائى الهجائى الذي يراعى ترتيب الكلمات وفق شكلها النهائى في الاستعمال والنطق، وهو منهج قديم جدا استعمله العرب القدامى في المعجمية العامة على ما نجده في معجم أبى هلال العسكرى ت ٤٠٠هـ (أسماء بقايا الأشياء) ومعجم ابن أيبك الصفدى ت ٧٦٤هـ (غوامض الصحاح).

وفي المعجمية المختصة؛ كالتعريفات للجرجانى ٨١٦هـ والتعريفات والاصطلاحات لابن كمال باشا ٩٦٠هـ والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوى ١٠٩٤هـ.

والغاية من هذا المنهج هي ولا شك التيسير على عموم المستعملين، وهو مبدأ محفوف بالتقدير في المعجمية المعاصرة في بحوث التصنيف المعجمى تحت اسم جامع هو : العناية بمنظور المستعمل.

وقد تميز هذا المعجم بعدد من الميزات المهمة في هذا السياق، منها :

أ- وضوح العبارة الشارحة لمعنى المصطلح، واعتماد الإمكانات اللغوية الكامنة في معانى الأبنية توصلا لبيان المعنى الاصطلاحى، يقول مثلا في تعريف مدخل (الاستعانة ص ٣٦) هي : " طلب العون " وهذا تفسير معنى البناء الصرفي، ثم يقرر أنها أنواع : طلبه من الله متضمنة كمال الذل من العبد لربه، وطلبه من المخلوق إن كان قادرا عليه، وهي جائزة في البر، حرام في الإثم، وطلبه من غير قادر وهو عبث، وطلبه من ميت وهو شرك، والاستعانة بالأعمال المحبوبة كالصلاة وغيرها مشروعة.

ب- التدليل بالأدلة النقلية على كثير مما يورده، كاستدلاله على شرعية الاستعانة بالله سبحانه بقوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة ٥/١] وعلى شرعية الاستعانة بالمخلوق في البر بقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [سورة المائدة ٥/١] وعلى حرمة الاستعانة على الشر بقوله تعالى ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [سورة المائدة ٥/١] وعلى شرعية الاستعانة بالأعمال الصالحة بقوله تعالى ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ﴾ [سورة البقرة ٢/٤٥]

ج- استعمال تقنية معجمية هي الإحالة وهي تفيد في صنع التماسك المعجمى، والمقصود بذلك أن يحيل أو يعيد القارئ في مادة من مواد المعجم إلى مادة أخرى يرى أن من المفيد الاطلاع عليها لإضاءة الطريق من جانب أو طلبا لعدم تضخم المعجم عن طريق عدم التكرير من جانب آخر.

ومن أمثلة ذلك إحالته في مدخل (التوحيد العلمى الخبرى ص ١٠٩) وفي مدخل (التوحيد الطلبى ص١٠٩) على مدخل التوحيد ص ١٠٨، لأنه قد سبق له التعريف بهما. وكذلك فعل في مدخل (توحيد الحاكمية ص ١٠٩) حيث أحال على مدخل الحاكمية ص ١٣٩-١٤٣

د- العناية بالتوثيق، وهو كثيرا ما يجتهد في توثيق ما يقوله من تعريفات ونقول وتقسيمات بإثبات مصادره في الحواشى السفلى لصفحات معجمه.

ومن مصادره ذات الصلة الوثيقة المباشرة بمعجمه ما يلي:

الملل والنحل للشهرستانى / التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطى / والفرق بين الفرق، للإسفراييني / ومقالات الإسلاميين، للأشعرى /، وشرح أسماء الله الحسنى لسعيد بن وهب القحطانى / وكتب التوحيد في كتب الصحاح / والفصل في الملل والنحل، لابن حزم / وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العزالحنفي إلخ.

هـ- إفراد المدخل/ أو المصطلح بسطر مستقل وبحجم طباعى أكبر من بقية الكلمات وهو مما ييسر الوصول إليه.

ومن عيوب المعجم:

وقد وقع المعجم في بعض العيوب المؤثرة، لعا أهمها على الإطلاق هو : الإخلال بعدد ضخم من المصطلحات العقدية، فلم يوردها في معجمه من مثل :

- مصطلح العقيدة نفسه! وهو علم معجمه
- مصطلح الاعتقاد

• مصطلحات (النبى والنبوة والنبوات والعصمة إلخ) ولا يغنى في هذا المقام تعريف الرسول، من غير إحالة على النبى.

ونحن نرجع السبب في هذا النقص على النقص الأول في جمع مادة هذا المعجم ن والمأمول أن يعاود مصنفه جمع مادة المعجم من المصادر التي أشرنا إلى أقسامها هنا لاستكمال هذا النقص المعيب، ولا شك.

(ثانيا) – المعجم العلمي للمعتقدات الدينية.

وهو معجم ثنائى إنجليزي/ عربي؛ أي أنه مرتب المداخل وفق الألفبائية الإنجليزية، ولغة الشروح التي تحت كل مدخل عربية، وهذه أولى عيوب هذا المعجم على الرغم من أهميته؛ ذلك أن المستعمل المتوجه به إليه عربى، فكان الأولى أن يرتب على وفق ترتيب المداخل العربية، ولا يعتذر عن ذلك بأنه تعريب، وإن قلل من مخاطر هذا الترتيب وجود فهرس للمصطلحات والمداخل مرتبة ترتيبا ألفبائيا عربيا مقرونا بأرقام صفحات وجود كل مدخل (ص ٧٧٥-٨١٥).

وقد حدد صانع المعجم غايته بقوله في مقدمة المعجم ص ٥: "وهو موجه لكل مهتم، أو مشتغل بالمسائل التي تتطلب معالجة علمية لقضايا الدين ". وهو بهذا يتغيا غاية علمية بحثية.

ثم تحدث عن كثافة المداخل التي بلغت حوالى ٢٥٠٠ مصطلح أو مدخل تغطى نطاقا واسعا من المصطلحات المتعلقة بقضايا الدين في اشتباكاتها مع الفلسفة والعلوم الطبيعية والدراسات الجدلية والتاريخية.

أما ما يميز ها المعجم فيتمثل فيما يلي :

١- الصبغة الموسوعية التي حرص عليها، التي تجلت في العناية بالتعريف بكثير من الأعلام المشتبكة بقضايا الدين والمعتقدات، والأماكن، والوقائع، والأعياد، والكتب، ومن امثلة ذلك :

• تعريفه للمسيح الدجال Antichrist

• تعريفه لهرمجدون Armageddon وهو المكان الذي يحدده العهد القديم لمعركة نهاية العالم.

• فاطمة Fatima وهي ابنة المصطفي صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين خديجة، والحديث عنها في معجم للمعتقدات له وجاهته ولا سيما إذا عرفنا أن لها صفة قدسية في بعض معتقدات الشيعة !

• مكة Mecca

٣- عرض مصطلحات العقائد الإسلامية مع مصطلحات معتقدات أخرى كاليهودية والنصرانية وغيرهما مما يسهم في دراسة المعتقدات المقارنة.

٤- تحديد المجال الدلالى للمصطلح المعرف، بمعنى الحرص على بيان أن تعريف المصطلح المعين خاص بالسنة أو الشيعة أو غيرهما على الجانب الإسلامى أو بالكاثوليكية أو الأرثوذكسية على الجانب النصرانى إلخ.

٥- الحرص في أحيان كثيرة على صنع إحالات إما طلبا لتماسك مجموعة من المصطلحات التي من المفيد جمعها وقراءتها معا، أو طلبا لاختصار المعجم وعدم تضخمه.

٦- العناية بالبعد التاريخى والمقارن في تحرير كثير من التعريفات،، مثلما نرى مثلا في تعريف مصطلح التوحيد ص ٤٠٢ Monotheism

من أهم عيوبه أنه في عملية التعريب لم يتخلص من الروح التي كتب بها أصلا بحسبانه معجما موجها للقارئ الغربى غير المسلم، وهو ما ظهر في تبنى تعريفات لا يقول بها المسلمون في معتقداتهم وعلومهم من مثل :

• تعريف السنة sunna ص ٦١٠ حيث يعرفها فيقول : تقاليد الإسلام المقدسة والتي وردت في الحديث. والسنة عندنا ليست بهذا المعنى أولا لأنها غير محصورة في الحديث (القول) وإنما تخرج منه إلى الفعل والصفة والتقرير منه صلى الله عليه وسلم، ثم إنها ليست جميعا مقدسة؛ لأن ثمة سنن زوائد، وسنن غير تشريعية.. إلخ.

إن من المهم جدًّا أن نقرر أن العناية بالعقيدة الإسلامية باعتبارها محورا لا يمكن تصور تغافله في إيمان المؤمنين من جانب، ولا يمكن تصوره في أية دراسة لقيم الإسلام ومبادئه – ولا يمكن أن تتم من دون الانطلاق من تقدير العناية التي أولتها المعجمية قديما وحديثا لهذا العلم المهم جمعا لمصطلحاته وتعريفا لها.

❊❊❊

ثانيا
معاجم مصطلحات (عمل الجوارح) أو الفقهية المعاصرة في العربية

(مدخل)

لا ينكر أحد من دارسي الحضارة العربية في الميادين المختلفة ما أحدثه الإسلام من أثر جبار في ترقية الحياة العقلية والعلمية التي ظهرت آثارها باللسان العربي.

وكان مما استقر في باب الحقائق العلمية المتعلقة بدراسات الثروة اللفظية أن الإسلام أوجد تيارا كاملا مستقلا نما باللسان العربي في جانب الألفاظ حتى عرف باسم فريد هو : الكلمات العربية الاسلامية.

وقد فطن القدامى من اللسانيين العرب، فأفرد ابن فارس اللغوى (٣٩٥هـ) بابا بعنوان الأسباب الإسلامية في كتابه (الصاحبى في فقه اللغة) ص ٧٨-٨٦ وهو ما زاده بسطا وتفصيلا السيوطي (٩١١ هـ) في كتابه المزهر في علوم اللغة ٢٩٨/١.

وهو الأمر الذي فحص حديثا وثبت حقيقة متواترة عند اللسانيين المعاصرين على اختلاف توجهاتهم وتنوع اهتماماتهم.

ومن هذه الحقيقة نستطيع أن نقرر أن للإسلام أثرا في رقى النشاط العلمي في باب التصنيف المعجمي عموما والمختص خصوصا،حتى يصح – ولا يصح غيره – أن نقول إن المعاجم التي اهتمت ببيان المصطلحات الفقهية لم تكن لتوجد لولا شريعة الإسلام العظيمة.

وقد اتسع باب التصنيف في المعاجم الفقهية في التراث العلمي عند المسلمين قديما اتساعا ظاهرا ويمكن رصد العلامات التالية في هذا السياق :

١- كانت العناية بالمصطلحات الفقهية في التصنيف المعجمي المختص أمرا ثابتا مستقرا منذ القرن الرابع الهجري.

٢- مثلت المعاجم الفقهية القديمة المذاهب أو المسالك الفقهية المختلفة التي عرفها التاريخ العلمي عند المسلمين في هذا الباب.

فظهر من المعاجم الفقهية التي تشرح ألفاظ الفقه الحنفي : طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية على ألفاظ كتب الحنفية، للنسفي السمرقندى ٥٣٧هـ ،والمغرب في ترتيب المعرب، للمطرزى ٦١٠هـ والحدود الفقهية لمصنفك الحنفي ٨٧٥هـ وحدود الفقه لابن نجيم المصري الحنفي ٩٧٠هـ وأنيس الفقهاء للقونوى ٩٧٨هـ.

كما ظهرت معاجم فقهية تشرح ألفاظ الفقه عند المالكية من مثل : لغات مختصر ابن الحاجب، للأموي المالكي ٨٠٦هـ وشرح حدود ابن عرفة للرصاع ٨٩٤هـ وشرح غريب ألفاظ المدونة للجبي، وغرر المقالة في شرح غريب الرسالة، للمغراوى.

كما ظهرت معاجم فقهية تعالجه من وجهة النظر الشافعي من مثل : الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، للأزهري ٣٧١هـ وحلية الفقهاء لابن فارس ٣٩٥هـ وشرح ألفاظ المهذب لابن البرزى ٥٦٠هـ والنظم المستعذب في شرح غريب المهذب لابن بطال الركبى ٦٣٠هـ واللفظ المستغرب للقلعى ٦٣٠هـ والمغنى في الإنباء عن غريب المهذب لابن باطيش ٦٥٥هـ وتهذيب الأسماء واللغات للنووى٦٧٦هـ وتحرير التنبيه للنووى٦٧٦هـ أيضا، والمصباح المنير للفيومي ٧٧٠هـ.

كما صنفت معاجم فقهية تشرح الألفاظ الفقهية عند الحنابلة من مثل: المطلع على أبواب المقنع للبعلى الحنبلي ٧٠٩هـ.

وكل تلك المعاجم الفقهية التراثية مما وصل إلينا واعتنى بها تحقيقا ودرسا[1] تمتعت بكثير من أصول صناعة المعجم كما يقررها المعاصرون.

(١) اتجاهات التصنيف المعاصر في معاجم المصطلحات الفقهية.

وقد كان لثبات الشريعة واستمرارها وهما الخاصتان الملازمتان لها أثره في استمرار التصنيف في لغة الفقه في العصر الحديث، وبالإمكان تمييز ثلاثة اتجاهات أساسية حكمت مسارات التصنيف في معاجم المصطلحات الفقهية المعاصرة هي كما يلي:

---

(١) انظر في توثيقها وطبعاتها ومناهجها كتاب : تراث المعاجم الفقهية في العربية : دراسة لغوية في ضوء أصول صناعة المعجم والمعجمية للدكتور خالد فهمي، مكتبة إيتراك، بالقاهرة سنة ٢٠٠٣م.

أ- معاجم فقهية خاصة بباب فقهي معين.

ب- معاجم فقهية خاصة بمصطلحات مذهب أو مسلك فقهي مفرد.

ج- معاجم فقهية جمعت المصطلحات الفقهية كلها ومن دون تقيد بمذهب أو مسلك فقهي بعينه،أو بمجال فقهي معين.

وفيما يلي بيان بأشهر هذه المعجمات الفقهية موزعة على الترتيب الذي صنعناه :

(١/أ) معاجم المصطلحات الفقهية الخاصة بباب أو مجال فقهي معين.

وقد عرف التصنيف المعجمي المعاصر عددا من المعجمات التي اعتنت ببيان مصطلحات بعض الأبواب الفقهية من دون غيرها لأغراض تعبدية مخصوصة أو لأغراض علمية، من أمثلتها :

١- قاموس الحج والعمرة من حجة النبي وعمره، لأحمد عبد الغفور عطار (طبعة دار العلم للملايين بيروت ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م).

٢- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية، للدكتور محمد عمارة (طبعة دار الشروق، القاهرة، بيروت سنة ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م)

٣- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء للدكتور نزيه حماد (طبعة المعهد العالمى للفكر الإسلامى، هيرندن / فيرجينيا سنة ١٤١٤هـ =١٩٩٣م)

٤- مصطلحات الفقه المالي المعاصر : معاملات السوق، تحرير وإشراف يوسف كمال محمد (طبعة المعهد العالمى للفكر الإسلامى، القاهرة ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م)

(ملاحظات على هذه القائمة):

يتضح من تأمل عنوانات هذه المعاجم الفقهية اقتصارها على العناية بمصطلحات أجزاء معينة من لغة الفقهاء، وقد كان هذا الاجتزاء محكوما باعتبارات معينة منها ما هو تعبدي بالمعنى الخاص للتعبد على ما يظهر في مقدمة قاموس الحج والعمرة، يقول مصنفه ص ٨ " والذي حملني على تأليف هذا المعجم أنى رأيته أسرع في الإجابة عن المناسك من الكتب المؤلفة فيها، فهو – يجيب السائل عن مسألته وحدها، أو عن المسائل التي يريدها

في إيجاز يغنيه عن الإسهاب... وجعلته متوسط الحجم ليسهل حمله في اليد أو ليحمله المحرم في عيبته (أي في الحقيبة الصغيرة التي يحملها وفيها احتياجاته الضرورية)".

وهذا غرض نبيل لم يظهر في الأغراض التي صنف من أجلها معاجم الفقه قديما.

ومن الاعتبارات التي أظهرت هذا القسم من معجمات مصطلحات الفقه أيضا الاعتبار العلمي أو المعرفي بمعنى أنها ظهرت تلبية لمطالب ضبط مفاهيم طائفة من المصطلحات التي تعرضت للتشويه أو الاتهام أو الانتقاص ولا سيما بعد أن اتسع استعمالها، وشغب ضد كثير منها المنتمون للفكر الغربي، فكان مثل قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية يهدف إلى الانتصاف للفكرة الاسلامية من خلال المعجمية التي تجمع مصطلحات الاقتصاد في هذه الحضارة المتميزة؛ لتواجه مخاطر الافتنان بالفكرة غير الاسلامية التي يروج لها من خلال ما يترجم من معاجم للمصطلحات الاقتصادية !

يقول الدكتور محمد عمارة في مقدمة قاموسه ص ١٦: "إن الباحث في الميدان الاقتصادي وكذلك القارئ في هذا الميدان والذي لا يجد لديه سوى قاموس عربي قد ترجم إلى العربية لابد وأن يرى كل قضايا هذا العلم الاقتصادي وتطبيقاته بعيون المذهبية الاقتصادية الغربية التي تتميز عنها المذهبية الاسلامية في المنطلقات والمعايير والغايات... وهنا تبرز الرسالة الفكرة والمهمة الحضارية لهذا القاموس " الذي يتبنى الفكرة الاقتصادية المتلبسة بالإسلام. وهو ما يعود إلى تأكيده الدكتور طه جابر العلوانى أيضا في تقديمه لمعجم الدكتور نزيه حماد.

ومن جانب كان ظهور هذا النوع من المعاجم الفقهية الجزئية تيسيرا على الاقتصاديين المتعاملين مع الفقه الإسلامى، والفقهاء المتعاملين مع قضايا الاقتصاد إلى فهمها واستيعابها.

وربما تفسر كثرة المعاجم الفقهية في الجانب الاقتصادي بسبب من هجمة المفاهيم الاقتصادية الواردة من الغرب وتبني الأنظمة العربية لفلسفات الغرب الاقتصادية مما استشعر معه علماء الإسلام المعاصرون حاجة الثقافة الاسلامية المعاصرة إلى هذه المعاجم

الفقهية الجزئية المعاصرة لتقاوم بها ما يمكن أن يظهر من مخاطر هذا الهجوم للمفاهيم الغربية في ميدان الاقتصاد في البلدان الإسلامية.

(١/ب) معاجم فقهية خاصة بمصطلحات مذهب فقهي بعينه.

مثلما رأينا في مفتتح هذه المقالة – توزع المعاجم الفقهية التراثية على المذاهب الفقيهة المستقرة، وإن تفاوتت أعدادها من مذهب فقهي إلى غيره، انتصارا للمذهب الشافعي – فقد امتد هذا التيار التراثي حتى العصر الحديث؛ إذ ظهرت معاجم تعنى بالمصطلحات الفقهية الخاصة بمذهب فقهي معين، ومن أشهر أمثلة هذا النوع :

١- معجم فقه ابن حزم الظاهري (من إصدار لجنة موسوعة الفقه الإسلامى، بكلية الشريعة بجامعة دمشق، دمشق سنة ١٩٦٦م)للمنتصر الكتانى.

٢- معجم الفقه الحنبلي، للدكتور محمد رواس القلعه جى (طبعة موسوعة الفقه الإسلامى، بالكويت سنة ١٣٩٣هـ) وهما يعنيان بالمصطلحات مع المسائل.

٣- دليل السالك للمصطلحات والأسماء في فقه الإمام مالك، للدكتور حمدي عبد المنعم شلبي (طبعة مكتبة ابن سينا، بالقاهرة، سنة ١٩٩٠م)

(ملاحظات على هذه القائمة)

يتضح من عنوانات أمثلة هذا القسم من المعاجم الفقهية المعاصرة توجهها نحو تحقيق غايتين متداخلتين معا هما :

أ- الغاية التعليمية التي تسعى إلى التسير على طالبي الفقه المذهبي، فتأتى هذه لنوعية من المعاجم الفقهية لتعين على تحقيق هذه الغاية.

ب- الغاية العلمية التي تتوجه إلى خدمة التراث الفقهي المنتمى إلى مذهب بعينه إما لفتور العناية به كما نرى في معجم فقه ابن حزم، وإما لتيسير الإفادة من تراث معرفي تراكم وامتد خلال العصور، ونتج عن هذا الامتداد تشعب معاني كثير من اصطلاحاته، أو بسبب من الإقبال على طلب مذهب بعينه؛ لأن نظاما معاصرا تبنى مقولاته الفقهية كما حدث مع المذهب الحنبلي.

(١/ج) معاجم فقهية جامعة.

ويمثل هذا الاتجاه أقدم الاتجاهات الثلاثة التي رصدناها هنا إذ ظهرت منذ فترة سابقة على الاتجاهين السابقين. وأشهر أمثلة هذا الاتجاه ما يلي :

١- التعريفات الفقهية، للمفتى محمد السيد عميم الإحسان المجددى البركتى(طبعة مدينة دكة وكراتشي، بباكستان الشرقية سنة ١٣٧٩هـ= ١٩٦٠ م)

٢- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، لسعدي أبو جيب (طبعة دار الفكر، بدمشق، سنة ١٣٩٧هـ= ١٩٧٧م

٣- معجم لغة الفقهاء محمد رواس قلعه جى والدكتور حامد صادق قنيبى(طبعة دار النفائس، بيروت سنة ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م)

٤- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، للدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم (دار الفضيلة، بالقاهرة سنة ١٤١٩هـ= ١٩٩٩م)

(ملاحظات على قائمة الاتجاه الثالث):

يلاحظ على قائمة هذا الاتجاه سعيها إلى تحقيق الاستيعاب على مستوى جمع المصطلحات الفقهية من دون النظر إلى المذهب الفقهي من جانب، وعلى مستوى اعتبار التصانيف الفقهية في العصور الإسلامية المختلفة.

كما يلاحظ على معاجم هذا الاتجاه التوسع في ضم المصطلحات الفقهية التي تتعرض للمشغلة الأساسية لعلم الفقه باعتباره علما بالأحكام المالية أو الفرعية المستنبطة من أدلتها التفصيلية، مع العناية بعدد من المصطلحات الأصولية والدينية العامة؛ بحيث نستطيع أن نقرر أن المعاجم الفقهية في هذا الاتجاه سعت نحو تحقيق الصبغة الموسوعية.

(٢) غلبة منهجية التيسير على مناهج ترتيب المصطلحات في المعاجم الفقهية المعاصرة.

المتأمل للمناهج التي اتبعها مصنفو المعاجم الفقهية المعاصرة في اتجاهاتها الثلاثة يلاحظ توزعها على المدارس التصنيفية التالية :

أ- مدرسة الترتيب الهجائي الألفبائى وفق منطوق المصطلح في الاستعمال.

ب- مدرسة الترتيب الهجائي الألفبائى الجذري.

ج- مدرسة الترتيب الموضوعي.

ونسبق فنقرر أن القراءة الإحصائية لنماذج المعاجم الفقهية المعاصرة التي عينها البحث هنا دالة على رجحان كفة استعمال المنهجية التيسيرية على المستعملين، بمعنى انه إذا كانت المعاجم الفقهية الموزعة على الاتجاهات الثلاثة يبلغ مجموع عددها أحد عشر معجما، فإن تسعة منها طبقت منهج الترتيب الألفبائى وفق منطوق المصطلح في الاستعمال من دون تجريد أو رد إل الجذور أو الأصول، على حين طبق معجمان اثنان فقط منهج الترتيب الموضوعي في ترتيب المصطلحات أو الألفاظ الفقهية.

وكانت النسبة المئوية لتطبيق منهجية التيسير ٢٧,٧٪ تقريبا.

و النسبة المئوية لتطبيق منهجية الترتيب الموضوعي ١٨,٢٪ تقريبا.

و النسبة المئوية لتطبيق الترتيب الألفبائى الجذري ١٪ تقريبا.

(٢/أ) منهج الترتيب الألفبائى وفق شكل استعمال المصطلح الفقهي.

رتب أصحاب المعاجم الفقهية المعاصرة المصطلحات فيها وفق الترتيب الهجائي الألفبائى المشرقي : (أ /ب /ت/ث/ج/ح...) على حسب الحرف الأول المكون للمصطلح من غير تجريد أور د للجذور أو الصول.

وقد سار على هذا المنهج من معاجم الاتجاه الأول :

١- قاموس الحج والعمرة، لأحمد عبد الغفور عطار

٢- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية، للدكتور محمد عمارة.

٣- قاموس المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، للدكتور نزيه حماد.

وسار عليه من معاجم الاتجاه الثاني :

١- معجم فقه ابن حزم الظاهري.

٢- معجم الفقه الحنبلي.

و سار عليه من معاجم الاتجاه الأخير :

١- (معجم) التعريفات الفقهية، للمجددى.

٢- معجم لغة الفقهاء، للدكتور محمد رواس قلعه جى والدكتور حامد صادق قنيبى.

٣- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، للدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم.

وقد فطن أصحاب هذه المعاجم جميعا إلى ما يحققه تطبيق هذا المنهج الترتيبي من تيسير على المستعملين، وعبروا عن هذا الوعي في مقدمات هذه المعاجم المختلفة، ومما يدل على ذلك قول أحمد عبد الغفور عطار (ص ٩) " ورتبت كلمات المعجم حسب ترتيب حروف الهجاء، ولم أجرد الكلمة من المزيد ولم أعدها إلى أصلها بل أبقيت الكلمة كما تنطق؛ **لأن تجريدها إلى الأصل... قد يعسران** على أكثر القراء" وهو ما عبر عنه الدكتور محمد عمارة في (ص ٢١) حيث يقول :" فلقد آثرنا ترتيب مواده على النحو الذي ييسر الاستفادة منه والانتفاع به لأوسع جمهور ".

وهو ما نص عليه المجددى البركتى بقوله ص ١٤٧ :" وبعد فهذا معجم يشرح الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء.. مرتبة على الحروف الهجائية؛ ليسهل تناولها وتعاطيها ".

وهو ما نص عليه الدكتور محمد رواس قلعه جى والدكتور حامد صادق (ص ٦) والدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم (ص ١٠)

(٢/ب) منهج الترتيب الألفبائى الجذري (التجريدي).

رتب معجم واحد من المعاجم الفقهية المعاصرة التي رصدتها هذه المقالة – المصطلحات الفقهية التي جمعها وفق مراعاة الأصول بعد تجريدها من الزيادات وردها إلى الأصول، وهو معجم القاموس الفقهي، لسعدي أبو جيب؛ يقول (ص ٩) " تتخلص خطة العمل فيما يأتي : تقديم الفعل الأصلي للكلمة...". ولم يتضح السر وراء استعمال هذا المنهج، ويبدو لنا أنه أراد ألا يشعث مشتقات الأصل الواحد في مواضع متفرقة؛ طلبا

لاجتماعها في حيز واحد، وهو بعض ما يحققه هذا المنهج الترتيبي التجريدي، بحيث نضمن اجتماع الكلمات التالية في حيز واحد وهي (أبر / أبر بالتشديد / التأبير) ومثل ذلك في (أثم / وأثم بالتشديد / التأثيم / تأثم / أثام / الإثم / الأثيم / المأثم)

وعلى الرغم من اشتراط هذا المعجم – كما جاء في خطة العمل (ص ٩) تقديم الأفعال على الأسماء فإن ثمة فرقا وقع في تطبيق هذا المبدأ على ما نرى مثلا في وضع مصطلح (التأثيم) قبل (تأثم) !

(٢/ج) منهج الترتيب الموضوعي.

عرفنا فيما سبق أن ثمة معجمين طبقا ترتيب المصطلحات الفقهية الواردة فيهما وفق تجميع كل مجموعة يربطها رابط من معنى متحد في حيز واحد، وهو ما يسمى في التصنيف المعجمي بمنهج الترتيب الموضوعي الذي يراعى وضع كل مجموعة من الألفاظ يجمعها حقل معنى واحد في فصل مستقل ، وهذان المعجمان هما :

- دليل السالك للمصطلحات والأسماء في فقه الإمام مالك.
- مصطلحات الفقه المالي المعاصر : معاملات السوق

حيث رتب دليل السالك المصطلحات في أقسام ثلاثة هي :

١- المصطلحات الفقهية وضمن هذا القسم وزعت المصطلحات كما يلي (المصطلحات العامة / مصطلحات الأبواب الفقهية / الألفاظ المتفقة المبنى المختلفة المعنى)

٢- المؤلفات وضمن هذا القسم وزعت المصطلحات كما يلي : (الأمهات والدواوين / المتون و المختصرات وشروطها / المؤلفات الأخرى)

٣- الأعلام وضمن هذا القسم توزعت مادته كما يلي : (الأعلام التي تنطق مصحفة / الأسماء التي يخلط بينها / باقي الأعلام)

وواضح من هذا المنهج الترتيبي بروز غايتين أصليتين تقفان وراءه وهما الغاية التعليمية التي تتوخى خدمة طلاب الفقه المالكي والغاية العلمية البحثية التي تسعى نحو إزالة كثير من صور الالتباس التي تحيط بعدد من المصطلحات.

وقد أحسن الدكتور حمدي شلبي صانع هذا الدليل عندما صنع فهرسا هجائيا ألفبائيا غير تجريدي في آخره للتيسير على المستعملين.

أما مصطلحات الفقه المالي المعاصر فقد حدد محرره الغاية من ترتيبه موضوعيا بغاية علمية معرفية معتبرة بقوله (ص ١٥) : " وخطتنا تعتمد في البداية على : تقديم المصطلحات من خلال هيكل النظام الاقتصأي الإسلامى لأن ذلك يبين بوضوح مكانها كجزء من خلال كل، فتظهر الصلة العضوية بينها وبين غيرها من المصطلحات " ثم يقول (ص ١٧) " وهدفنا تقديم معجم لمصطلحات الاقتصاد الإسلامى مرتب حسب الموضوع ".

وقد توزعت مصطلحات هذا المعجم على أربعة أقسام كما يلي :

١-مصطلحات المشكلة الاقتصادية (الموارد / الحاجات)

٢-مصطلحات الإعمار = الإنتاج (المال / العمل)

٣-مصطلحات الرزق = توزيع الدخل (الرزق المكتسب (التوزيع الوظيفي) / الرزق الحسن (التوزيع الشخصي).

٤-مصطلحات السوق = نظرية القيمة.

ولم يغب عن ذهن محرر المعجم الغاية التيسيرية على المستعملين وهو ما تجلى في صناعة فهرس ألفبائى غير تجريدي في ختام المعجم، وهو وعى برز من بداية المعجم حيث تقول المقدمة (ص ١٧) : " ثم يرتب في الفهرسة مع الترتيب الموضوعي على أساس الحروف الأبجدية (الألفبائية)؛ فتيسر للباحث الحصول على المصطلح مباشرة في صفحته، وفي نفس الوقت يستطيع – إن أراد – أن يتبين صلته بالموضوع ككل ".

ولا يخفي ما في هذه الغايات جميعا من روح إسلامية أصيلة تسعى لتحقيق التيسير، وهو أصل حاكم في التصور الإسلامى، وتسعى كذلك لبناء هيكل مفاهيمي منضبط يمكن صاحبه من خدمة الفكرة الاسلامية ومقاومة غيرها.

(٣) امتداد يعرف قيمة التراث ويرعى تواصل الأمة الحضاري والمعرفي.

من الملاحظات الأساسية على منهجيات ترتيب المصطلحات الفقهية في المعاجم الفقهية المعاصرة أنها جاءت امتدادا للمنهجيات التي اتبعتها المعجمية العربية العامة والمختصة على السواء، فاتجاه ترتيب المصطلحات وفق كل المصطلح من غير تجريد سبق استعماله وتطبيقه في المعجمية المختصة التراثية على ما نجد أمثلة عليه في التعريفات للجرجاني ٨١٦هـ والتعريفات والاصطلاحات لابن كمال باشا ٩٦٠هـ. كما سبق استعماله في المعاجم الفقهية القديمة على ما نجد مثالا له في معجم لغات مختصر ابن الحاجب، للأموي ٨٠٦هـ.

صحيح أنه شاع استعماله حديثا بدرجة واضحة لاعتبارات العصر ولاعتبارات المبالغة في التيسير.

من جانب ثان فقد عرفت المعجمية القديمة تطبيق المنهج الألفبائى التجريدي منذ زمن مبكر جدا إلى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين من أيام معجم الجيم لأبى عمرو الشيبانى ٢٢٤هـ ثم تطويره على يد أبى عبيد الهروى صاحب الغريبين ٤٠١هـ والزمخشرى في أساس البلاغة ٥٣٨هـ.

كما عرف تطبيقه في المعجمية المختصة كذلك منذ زمن مبكر جدا.

ومن جانب أخير فإن منهج الترتيب الموضوعي سبق استعماله في المعجمية المختصة قديما كما يظهر في مفاتيح العلوم للخوارزمي ٣٨٧هـ وفي المعاجم الفقهية التراثية كما عند الازهرى ٣٧٠هـ في الزاهر، وابن فارس ٣٩٥هـ في حلية الفقهاء، والنسفي ٣٧٠هـ وطلبة الطلبة، وغيرهم كثيرون.

ونحن نرى في هذا الامتداد أثرا مهما لتواصل الأمة الاسلامية معرفياوحضاريا، ولتراكم التاريخ العلمي فيها، بسبب من خدمة الكتاب العزيز.

كما نرى في انتشار منهجية الترتيب الهجائي غير التجريدي ميلا ظاهرا إلى الإنعام في التيسير والمبالغة فيه، وهو استثمار جيد لأصل إسلامي عريق، نلمح آثار الصحوة الاسلامية في تفشيه وانتشاره المعاصر في الميدان العلمي عموما والمعجمي خصوصا.

(٤) امتداد العناية بالمصطلحات الفقهية في غير المعاجم الفقهية في العصر الحديث.

ولم يقف أمر العناية بالمصطلحات الفقهية جمعا وترتيبا وتعريفا عند حدود معاجم المصطلحات الفقهية المعاصرة باتجاهاتها المتنوعة، وإنما ظهرت تجليات أخرى لهذه العناية في ميدان قريب الصلة بالمعجمية، ونقصد به ميدان الموسوعات الفقهية المعاصرة وسنمثل على هذه العناية بأشهر موسوعتين في العصر الحديث وهما :

١- موسوعة الفقه الإسلامى (التي يصدرها المجلس الأعلى للشيءون الاسلامية، بالقاهرة، الذي بدأ في إصدارها سنة ١٣٨١هـ = ١٩٦١م).

وقد رتبت مداخلها هجائيا ألفبائيا من غير تجريد واعتنت في مفتتح كل مدخل بتعريف المصطلح الفقهي عند المذاهب المختلفة.

ومن أمثلة ذلك تعريفها لمصطلح الآبق (٣/١) بعد مدخل الآبد، حيث عرفته لغويا ثم عرفته عند الحنفية بأنه " انطلاق العبد تمردا " أي خروجا عن الطاعة، ثم وواصلت تعريفه عند المالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية والشيعة والزيدية والإباضية (٣/١-٤).

٢- الموسوعة الفقهية (التي أصدرتها وزارة الأوقاف والشيءون الاسلامية بالكويت سنة ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م)

وقد رتبت مداخلها على الشائع من مناهج الترتيب المعاصر كسابقتها ففي باب الهمزة مثلا تتوالى المصطلحات كما يلي : (أئمة / آباء / آبار / آبد / آبق / آخر / آجن، الخ) والموسوعة حريصة في بداية كل مدخل على تعريف المصطلح لغة واصطلاحا، ومن أمثلة ذلك تعريفها لمدخل (الآجن) (٩٤/١) بقولها " والمراد به في الفقه ما تغير بعض أوصاف أو كلها (تقصد الماء) بسبب طول المكث ".

إن هذه العناية بالاصطلاحات الفقهية في المعاجم الخاصة بها أو في غيرها من الموسوعات لتدل أكبر دلالة على ما يتمتع به علم الفقه من الأهمية التي تعكس حاجة

المسلمين في كل عصر إليه. ومقصودنا هنا بيان العناية بمعاجم المصطلحات الفقهية المعاصرة وتلبيتها للحاجات المعرفية الطارئة، وهو المفهوم من العنوان السابق.

وتدل كذلك على نموه، والحاجة الماسة إلى تطويره، وتطوير خدمة مصطلحاته، وهو بعض ما تجلى في هذه القراءة للمعاجم الفقهية المعاصرة[1].

***

(١) المقصود هو معاجم المصطلحات الفقهية، لا المعاجم الفقهية بمعنى المدونات الفقهية التي تجمع الآراء والمسائل لفقيه من الفقهاء أو لمذهب فقهي من المذاهب.